الغرب والمناوئة، بقوة، لمصر، وبالاتحاد الهاشمي، وبحلف بغداد. وكانت ثورة العراق ضربة كبيرة وشديدة بالنسبة الى الغرب، وانتصاراً فائق الأهمية للجمهورية العربية المتحدة، وزعامتها، التي ما فتئت تحث على «اسقاط الحكومات الرجعية في البلدان العربية»، والكفاح ضد السيطرة الاستعمارية، واقامة حكومات تنضم الى مصر وسوريا في دولة الوحدة. وبعد ثورة العراق، أُطيح بالرئيس اللبناني كميل شمعون، الوثيق الصلة بأميركا والشديد العداء لعبدالناصر ومشروعه التوحيدي؛ وتولّى الحكم، بعده، فؤاد شهاب، الذي وصف بأنه يقف من السياسة المصرية موقف المتعاطف الحذر[٤٤].

بيد ان ذلك كله لم يلبث ان تحوّل الى ما يشبه الحلم قصير الأمد، وأسهمت في ذلك ظروف اقليمية ودولية كثيرة. ففي تشرين الثاني (نوفمبر)، وقع انقلاب عسكري في السودان، بقيادة ابراهيم عبّود، أدّى الى انعزال السودان عن الدول العربية المتحررة، وخصوصاً الجمهورية العربية المتحدة، والى عودة النفوذ الغربي الى هذا البلد العربي، الذي كانت مصر تعتبره، على الدوام، عمقها الطبيعي والاستراتيجي وأقرب العرب اليها وأولاهم بالوحدة معها[٤٥]. وتردت علاقات مصر بالمملكة العربية السعودية، بعد اكتشاف محاولة لتقويض الوحدة المصرية ـ السورية من طريق رشوة عبدالحميد السراج الذي أبلغ الى عبدالناصر ذلك[٤٦].

وحدث الأمر نفسه بالنسبة الى علاقات الجمهورية العربية المتحدة مع العراق؛ فلم تمض سوى بضعة شهور على الثورة العراقية حتى شهدت هذه العلاقات توتراً، اثر اتهام الحكم العراقي لنائب رئيس الوزراء، عبدالسلام عارف، المعروف بولائه لعبدالناصر، بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم. وبلغ التوتر ذروته عندما بدأ عبدالناصر، شخصياً، بشنّ حملات ضد قاسم والشيوعيين العراقيين. وتفاقمت الامور الى أقصى حد بحدوث حركة عبدالحميد الشوّاف في الموصل ضد الحكومة العراقية. فقد اتهمت بغداد الجمهورية العربية المتحدة بتدبير حركة التمرّد العسكري تلك؛ كما اتهمتها، في أواخر العام ١٩٥٩، بالوقوف وراء محاولة أخرى لاغتيال قاسم قامت بها عناصر من حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كان يعلن تأييده لعبدالناصر. وعبّرت تلك الحوادث عن صراعات داخل المجتمع العراقي بين تيارين: قومي يريد تحقيق وحدة اندماجية فورية مع الجمهورية العربية المتحدة، ووطني كان أقصى ما وافق عليه، في بداية الثورة العراقية، اتحاد كونفدرالي مع دولة الوحدة. وترافقت مع الحملة الناصرية على الحكم والشيوعيين في العراق حملة مماثلة ضد الاتحاد السوفياتي، في مقابل تحسّن في علاقات الجمهورية العربية المتحدة مع الولايات المتحدة الاميركية، التي عاودت تقديم المعونات اليها. وترتب على ذلك اعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع الاردن في آب (اغسطس) ١٩٥٩. وفي أيلول (سبتمبر)، التقى عبدالناصر مع الملك سعود[٤٧].

وكان الحدث الاكثر ايلاماً، بالنسبة الى عبدالناصر وكل قوى وتيارات وشخصيات المشروع القومي الوحدوي التحرري، هو انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، في أيلول (سبتمبر) ١٩٦١، والذي وصف بأنه كان كارثة وجريمة. لقد كان الانفصال ضربة عنيفة موجهة ضد الكفاح الصعب والطويل من أجل تأسيس نظام فعّال للعمل العربي المشترك، يكون قادراً على مواجهة التحديات الخارجية، وهي كبيرة وكثيرة، ومن بينها اسرائيل.

ولم يعوّض عن فشل التجربة الوحدوية انتصار الثورة الجزائرية الوثيقة الصلة بعبدالناصر، ولا قيام نظام حكم جمهوري موال لمصر في اليمن، في العام ١٩٦٢، ولا سقوط عبدالكريم قاسم في العراق، وحكم الانفصال في سوريا في العام ١٩٦٣ على يد حزب البعث العربي الاشتراكي. فمع